ماهية
الضبط الاجتماعي
نشأة المفهوم وتطور الموضوع

د. محمد أبو الحمد سيد أحمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ماهية الضبط الاجتماعي : نشأة المفهوم وتطور الموضوع

يعد موضوع الضبط الاجتماعي من أهم الموضوعات التي تناولها العلماء والمفكرون ، واهتم به علماء التاريخ والتربية والاجتماع وعلم النفس وكذلك علم وفن ومهنة الخدمة الاجتماعية لارتباطه بقضايا العدالة الاجتماعية في واجهة الاستبعاد الاجتماعي وتنظيم المجتمعات والرعاية الاجتماعية للفئات الأكثر عرضة للخطر والجهود الوقائية للدفاع الاجتماعي والمدافعة كاستراتيجية مهنية والمطالبة بحقوق فئات معينة ومواجهة مظاهر التهميش والعنصرية ، تحقيقا للتوازن المجتمعي فلا يقهر الضعيف ولا يطغى القوي والتماسك الاجتماعي فلا تتميز مجموعة على أخرى لاعتبارات النوع أو العرق أو السلالة أو الدين ، وانعكاس ذلك على حياة المواطنين داخل هذه المجتمعات وضمانة انتماءاتهم نحوه ، ولا يزال موضوع الضبط الاجتماعي يعاني كثيراً من الخلط والغموض ، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى اختلاف العلماء أنفسهم في مسألة تحديدهم لمفهوم الضبط الاجتماعي ، وعدم اتفاقهم على تعريف واضح محدد له ، وكذلك عدم اتفاقهم على مجالات الضبط الاجتماعي وحدوده بوصفه عملية تنطوي على كثير من المضامين والمفهومات التي تتدخل في تحديد أبعاده ووظائفه بالنظر إلى أسسه ومجالاته النظرية والعملية .

وفي ضوء الأصل الفرنسي للضبط أو التنظيم Regulation Sociale يشير قاموس مصطلحات علم الاجتماع في تعريفه للضبط الاجتماعي في البداية إلى أن الكلمة الفرنسية Regle " مسطرة ، أو قاعدة " تدل على أداة تساعد على " تسطير خطوط مستقيمة ، ورسم خطوط " ويقصد بها ايضا في سياق المنطق الشكلي " إجراء تشغيلي يمكننا من الاستدلال على الجمل واشتقاقاتها , ومن وجهة نظر(علم اجتماع العمل) يقصد بها "كل ما يضع أو يقنن عددا من الممارسات والتصرفات التي ينبغي علينا الالتزام بها في ظروف معينة اهتماما واقتناعا منا ، كما أن الواجبات التي تنفذ والالتزامات التي نحرص على الوفاء بها تضع انتظاما وتحدد ما ينبغي القيام به دونما استبعاد للاختلافات والمفارقات بين ما يتم إعلانه وما يحدث فعليا ، ,وبالتالي فإن الوعي الجمعي " وفقا لخطورة الانتهاكات أو الجنح المرتكبة قد يعتبر نفسه شبه مجروح ويفرض تعويضا عن الضرر على شكل " عقوبة " أو " جزاء"(المظهر المادي للضبط الاجتماعي) ، كما إن التنظيمات التي نتوصل إليها خاصة كانت أم عامة ليست

بالضرورة متوافقا عليها ، وقد يشكك بها بعدة طرق ، وكما أكد " جان دانيال رينو ، ١٩٨٩م في كتاب " قواعد اللعبة " لا يقتضي فهمها تحليلا عميقا لآليات المراقبة ونماذج الشرعية فحسب ، وإنما يقتضي أيضا تحليلا لآثار التجمع وعمليات المعاملات والتكيف ([1]) ، والضبط الاجتماعي هو أحد المفاهيم الرئيسة في معاجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، وقد أصبح محل اهتمام العديد من المجالات والأسس العلمية ليشمل:(النسق التربوي Educational System) Wilies ١٩٧٢ م، و(دولة الرعاية Welfare State) Offe, ١٩٨٤م ، وGough ١٩٧٩م ، (والطب النفسي Psychiatry والعلاج النفسي Psychotherapy) Horwitz، ١٩٨٢م ، و(أماكن العمل workplaces) Zuboff ١٩٨٨م ، وغيرها من مجالات واضحة في (ضبط الجريمة Crime Control) Garland ، ٢٠٠١م وهو كمفهوم ينبثق بصورة مؤكدة من علاقته القوية بقضايا النظام الاجتماعي Social Order [٢].

ومن الناحية اللغوية: الضبطُ : مصدر الفعل الثلاثي (ضَ .بَ .طَ) يضبِطُ ويضبُطُ ضبطا : لزوم الشيء و حبسه الالتزام بالنظام والانضباط ، ضبط لسانه حفظه بالحزم حفظا بليغا ، و ضبط عمله أي أتقنه ، وساعته جعلها متطابقة مع الوقت الجاري ، وضبط أعصابه كبحها ،وضبط البلاد قام بأمرها قياما ليس فيه نقص(٣) ، ومن ثم فإن مضمون هذا المصطلح يختلف باختلاف نمط الحياة الاجتماعية المنسوب إليه ، فالضبط عموما Control، هو " ضبط وتوجيه السلوك من الناحية الإيجابية أو السلبية ، أما الضبط الحدودي Boundaary Control فهو" عملية ضبط أو التحكم في الانتقال عبر حدود النسق، والضبط الثقافي Cultural Control " تغير ثقافي مخطط ، الجوانب التي تتضمنها ثقافة معينة وتتيح للمجتمع القيام بوظائفه بطريقة منظمة ، من خلال دفع الأفراد والضغط عليهم لتتمشى مع التوقعات الاجتماعية وتتضمن الثقافة الضابطة كلا من : المعايير والقيم

---

١) جيل فيريول : معجم مصطلحات علم الاجتماع ، ترجمة وتقديم : أنسام محمد الأسعد ، بيروت ، دار ومكتبة الهلال ، ٢٠١١م ، ص: ١٥٠

٢) Innes, Martin :Understanding Social Control: Crime and Social Order in Late Modernity, UK , McGraw-Hill Education, ٢٠٠٣. P ٢

٣) قاموس المعاني : /http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D٨٪B٦٪D٨٪A٨٪D٨٪B٧

والجزاءات الدينية والبناء الشامل للقانون والعقوبات ، أما الضبط الإيكولوجي Ecological Control" فهو " التحكم في سلوك شخص عن طريق التأثير في بيئته " أما الضبط الاجتماعي غير الرسمي " Informal Social Control" فهو " تحكم اجتماعي بواسطة عمليات أو وسائل غير نظامية " والضبط الاجتماعي الداخلي Internal Social Control فهو " المحافظة على الامتثال من خلال استدماج المعايير أو التوحد"(٤)، وقد استعمل هذا المصطلح في البحوث الخاصة بالتدبير والتوجيه الاقتصادي والاجتماعي ، فالضبط الاجتماعي في المجال الصناعي يحوي معنى " التأميم ، أو التنظيم الاشتراكي بالنسبة للأيديولوجيات الماركسية والاشتراكية بمعنى تنظيم العلاقات الاقتصادية على نطاق واسع ، ومن مظاهر ذلك " تأميم المشروعات الصناعية الضخمة ، ووضع حد أدني للأجور " ضبط منظومة الأجور " وحد أقصى لساعات العمل ، ويضيف بعض العلماء إلى ما يشتمل عليه معنى الضبط الاجتماعي في المجال الصناعي " اشتراك العمال في الإشراف على التوجيه الاقتصادي عن طريق اللجان العمالية وتقوية المساوة الجمعية ووسائلها المختلفة : الإضراب ، والتوفيق بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال أو مديريها ، والتحكيم ، مثال ذلك التنظيم العمالي لشئون العمال حيث مكنهم من الوقوف من أصحاب الأعمال أو رؤوس الأموال موقف الند للند ، وهكذا تمكنوا من تحقيق كثير من مطالبهم مثل : إنقاص ساعات العمل وزيادة الأجور مع ثبات أسعار السلع (٥) ، ولقد تحدد موقف الماركسية – على سبيل المثال – من السياسة الاجتماعية في علاقتها بالضبط الاجتماعي في اتجاهين في موقف مزدوج الأول: مسئولية الدولة عن تقديم كافة الخدمات الاجتماعية بالمجان كحق لهم وهو ما يعكسه مدخل الضبط والاستقرار الاجتماعي في المجتمع الماركسي ، والثاني : تفسير الماركسية لنظام الرعاية الاجتماعية في المجتمع الرأسمالي فقد لاحظت الماركسية أن المجتمعات الرأسمالية الصناعية شرعت في تقديم خدمات رعاية اجتماعية لمواطنيها ، وفسرت ذلك بأن الرعاية الاجتماعية هاهنا ما هي إلا آلية

---

٤) مصلح الصالح : الشامل ، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية ، انجليزي عربي ، المملكة العربية السعودية ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩، ص ص : ١٢١ ـ ١٢٢

٥) محمد عبد المعبود مرسي ، مشكلات الضبط الاجتماعي ، القاهرة ، دار أبو المجد للطباعة والتوزيع ، ١٩٩٦م ، ص : ٦

لتأخير تحويل المجتمع الرأسمالي إلى مجتمع شيوعي ، وباعتبارها ضربا من الضبط الاجتماعي لتعطيل الصراع الطبقي ولضمان استمرارية النظام الحالي(٦)،ويعرفه معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية بأنه " تلك الجهود المنظمة لمجتمع ما أو لبعض أعضاء المجتمع للمحافظة على النظام الاجتماعي وكذلك السيطرة على عمليات التغير الاجتماعي(٧).

التعريف الاصطلاحي للضبط الاجتماعي:

يمكننا القول أنَّ هناك تعريفات عديدة للضبط الاجتماعي تقاربت وتباعدت أحياناً نظر ا لتباين نظرة العلماء والزوايا التي انطلقوا منها في تعريفاتهم. وفيما يلي عرض تاريخي تطوري للمفهوم :

١) يرى (جوزيف روسيك ، ١٩٤٧م J. Roucek) الضبط الاجتماعي باعتباره " مفهوما شاملا يتضمن تلك العمليات المخططة وغير المخططة التي تعمل على تعليم الأفراد الامتثال لممارسات وقيم حياة الجماعات وعلى هذا فإنَّ الضبط الاجتماعي يشير إلى أليات هادفة تستخدم لتنظيم تصرف الناس الذين ينظر إليهم من قبل الآخرين باعتبارهم جانحين أو مثيري القلق أو السلوك الإجرامي ولإنجاز أهداف الضبط بصورة متنوعة يجب أن يتضمن صيغا من العقاب ، التعاملات(٨)

٢) ويعرّف(روس E.A.Ross) الضبط الاجتماعي بأنه: " نسق من الأجهزة التي يتمكن بها المجتمع من حمل أعضائه على الامتثال مع معايير مقبولة من السلوك " في حين عرفه (هنري فريتشلد H.p.Fairchild) بأنه " مجموع العمليات التي يمكن بتواجدها في مجتمع أو لدى جماعة فرعية ما تأمين الامتثال لما يتوقع أن يكون مقوما أساسيا على مستوى الفرد والجماعة ووحدات المجتمع " ، ويعرفه كل من جيلين وجيلين بأنه " نسق من المقاييس ، والمقترحات ، وضبط النفس

---

٦) ماهر أبو المعاطي علي : السياسة الاجتماعية : أسس نظرية ونماذج عالمية وعربية ومحلية ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ، ٢٠٠٤: ص : ٥٠.

(٧)عبد العزيز عبد الله الدخيل : معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية : إنجليزي - عربي = Dictionaray of Social ، Terminology English Arabic، المملكة العربية السعودية ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، ٢٠١٣ ، ص : ١٧٣

(٨) Martin Innes; Understanding Social Control: Crime and Social Order in Late Modernity, devience, crime, &social order , UK, McGraw-Hill Education, ٢٠٠٣, p:٤

والإكراه والتي تشمل القوة المادية وغيرها من الوسائل التي بواسطتها يمكن الامتثال للنمط المتوافق عليه باعتباره قالب تتبناه الجماعة الفرعية أو جماعة ما وتفرضه على اعضائها " ويرى (ماكيفروبيج R.M .Maclver andC.H. Page)الضبط الاجتماعي بأنّه الطرق التي يتم بها الوحدة الداخلية للنسق الاجتماعي ، ويحفظ استقرار بنائه " ، أما (أوجبرن ونيميكوف W.F.Ogburn,and W.F.Nimkoff) فيعرفانه بأنه " ذلك النمط Pattern من الضغط الذي يمارسه المجتمع على جميع أفراده للمحافظة على النظام والقواعد المتعارف عليها أو الموضوعة بنسق system الضبط الاجتماعي (٩) ، ويتباين هذا الضغط بتباين بتباين حكم الشخص نفسه بالنسبة لنفسه وحكم الجماعة بالنسبة لنفسها ، وكذلك التنشئة الاجتماعية ، كما قدم (محمد عبد المعبود مرسي ١٩٩٦م) تعريفا أخر للضبط الاجتماعي بأنه " استخدام القوة البدنية أو الوسائل الرمزية لفرض اتجاه أو مبدأ أو إعماله فيكون بالإيحاء والتشجيع والثناء غير ذلك ، وقد يتضمن سيطرة المجتمع أو الجماعة على الجماعات التي يشملها مثل " سلطة الدولة في مقابل الشعب " أو سيطرة مجموعة على أخرى مثل " الاحتلال وعلاقات التبعية وعدم الاستقلال "كما يعرف الضبط الاجتماعي بأنه " سيطرة توجه الأفكار والسلوك الوجهة التي تراها الهيئة المسيطرة أو الأفراد المسيطرون ، ولعل أقوى هيئة ذات سيطرة في العصر الحديث هي (الدولة) عندما يجبر فرد أو مجموعة أو يحمل على الإقلاع عن سلوك ما لمصلحة المجموعة التي ينتمي إليها ، وكذلك جماعة (الأسرة) و جماعة (اللعب أو العصبة) (١٠) وغيرها من الجماعات التي تقوم على مبدأي السيطرة والجماعة وتؤدي وظائف اجتماعية محددة مراعية مبدأي المشابهة والمخالفة كمقوم من من مقومات المجتمع وفق قواعد تحكم علاقات وسلوكيات أعضاء تلك الجماعات فيما بينهم .

٣) ومن حيث وجهة النظر الأنثروبولوجية فإن الضبط الاجتماعي جزء من حياتنا على كل المستويات، من الأسرة، إلى المجتمع المحلي، إلى الأمة، وإلى حضارتنا العالمية. علماء الأنثروبولوجيا يعرفونه على نطاق واسع على أنه أي وسيلة تستخدم للحفاظ على المعايير السلوكية وتنظيم الصراع. فالصراع

---

٩)Clement I. : Sociology For Nurses, as per the Indian nursing council , syllabus, India , Dorling, Kendersly, P.v.t, Ltd,٢٠١٠. ٢٧٢

١٠) محمد عبد المعبود مرسي ، مرجع سبق ذكره ، ص :١١

وانتهاك المعايير الثقافية هما من المشاكل التي تواجهها جميع المجتمعات البشرية، الصغيرة منها والكبيرة. والجزاءات هي حل مشترك. وصف راد كليف براون(١٨٨١-١٩٥٥) عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية . العقوبات بأنها: رد فعل من جانب مجتمع أو عدد كبير من أعضائه على أسلوب سلوك يوافق عليه (عقوبات إيجابية) أو مرفوض (عقوبات سلبية)" ، ويمكن أن تكون العقوبات السلبية غير رسمية جدا، ولا سيما في المجتمعات الأصغر حجما.

ويلخص الكاتب نيكولاس وايد ٢٠٠٩م (١١): كيف أن شيئا بسيطا مثل النبذ يمكن أن يكون شكلا قويا من أشكال الضبط الاجتماعي: " الناس في " القيل والقال" مجتمع صغير في كل وقت والحفاظ على الملفات العقلية تفصيلا على سلوك بعضهم البعض. يمكن أن نتذكر أي مخالفة للأعراف الاجتماعية لسنوات. إن حماية سمعة المرء قد أصبحت حرجة. فجماعات الصيادين والجمعيات لا تدير السجون أو لديها قانون جنائي. كنت إما في أو كنت خارجا، وإذا كنت تنبذ آفاق البقاء على قيد الحياة وحدها في البرية هي لا يبرر. أفضل تعلم بسرعة لتناسب وتتوافق "، فالمجتمعات الأكبر حجما تتطلب عقوبات أكثر رسمية، مقننة في القوانين، لأن العقوبات غير الرسمية ليست كافية لتغطية جميع التضارب المحتمل في المصالح. القوانين ذات أهمية خاصة في مجتمع تعددي للغاية مثل الولايات المتحدة. المواطنون هم أعضاء في العديد من أنظمة المعتقدات المختلفة، والثقافات الفرعية، ومجموعات الأقران. وتتأكد القوانين من أن الجميع يجب أن يوافقوا على نفس مجموعة القواعد العامة – أو يواجهون العواقب. ولكن ماذا عن القوانين الدولية؟(١٢)

٤) وبالنسبة للأغراض التحليلية يعتبر الضبط الاجتماعي مفهوما مجردا خاليا إن لم يكن مغلقا في تعريفه فإنه يعني كل شئ من نظريات المؤامرة conspiracy ، والتي تعلق مضمونه على أي مجتمع وإن

---

١١)**Wade, N. ٢٠٠٩ The Faith Instinct: How Religion Evolved and Why it Endures. Penguin Press, New York.**

١٢)**Anthropologynow.wordpress: Social Control: From Hunter-Gatherer Bands to the United Nations, an article, https://anthropologynow.wordpress.com/٢٠١٢/٠٤/١٧/social-control-from-hunter-gatherer-bands-to-the-united-nations/**

Wade, N. ٢٠٠٩ The Faith Instinct: How Religion Evolved and Why it Endures. Penguin Press, New York.

اختلفت ايديولوجياته (رأسمالية ، أو اشتراكية وغير ذلك) فإن أية ممارسة اجتماعية هي في الواقع جزء من عملية الضبط الاجتماعي بصرف النظر عن النهايات الأخرى لهذه الممارسة إلا أنه يظهر ليؤدي دوره ، وبصورة ضيقة يعرف بأنه " استخدامات الأجهزة الرسمية للدولة في ضبط الجريمة ، وغيرها من السلوكيات الممنوعة ، وقد ميز كل من كوهن وبلومبرج (Thomas G. Blomberg،Stanley Cohen: ٢٠٠٣م) ، بين كل من الضبط الاجتماعي ومضادات الضبط الاجتماعي (أو مشكلات الضبط الاجتماعي) ويقصد بالأول : مصطلح عام يتضمن مدى متنوع من الممارسات المؤسساتية الحميدة benign التي تضع حدودا لتصرفات الأفراد في اهتماماتهم بما يناسب المثاليات المعلنة للمجموعة فيما يتعلق بالعدالة الاجتماعية كما حددها القانون وأيديولوجية المجتمع أما مضاد الضبط الاجتماعي Antisocial control فهو مفهوم عام يتضمن مدى متنوع من الممارسات المؤسساتية السيئة Malign التي تضع حدودا لتصرفات الأفراد التي بواسطتها يتم تفضيل مجموعة من المواطنين مع استبعاد expanse أخرين بما يؤدي إلى تخريب subvert أيديولوجيات تكافؤ الفرص Opportunities، لاعتبارات : الجنس ، السلالة ، الطبقة ، أو غير ذلك من التجمعات الاجتماعية "(١٣)

٥) ويذهب (Eric Carlton ، ٢٠١٥م) إلى كون " الضبط الاجتماعي " مصطلحا يستخدم معياريا ليدل على العمليات التي تؤكد كون الأفراد متوافقين مع معايير الجماعة ، وحيث إن الاهتمامات تتسم بالتنوع بين وداخل الجماعات على حد سواء فإن آليات الضبط الاجتماعي تسهم عمليا في حل الصراعات القائمة بين الاهتمامات وتوجد درجة من التقبل والتناغم الاجتماعي " (١٤).

٦) وبرأينا أن لكل تعريف من التعريفات السابقة وجهاته العلمية في سياقات المجتمع التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي تأثرت بها تعريفاتهم فضلا عن التوجهات الأيديولوجية لكل عالم ، إلا أن ثمة اتفاقا فيما بينها جميعا على الغاية النهائية المبتغاة من الضبط

---

(١٣) Thomas G. Blomberg،Stanley Cohen: Punishment and Social Control,New York, Aldine – De- Gruyter , ٢٠٠٣, p:١١٩

(١٤) Eric Carlton Ideology and Social Order (RLE Social Theory,NY, Routledge, VOL:٣٢. ٢٠١٥,p.١٢

الاجتماعي ألا وهي (استقرار النظام والمحافظة على بقائه ونموه)، كما أن ثمة قاسما مشتركا بينها جميعا ألا وهو (التراكم الفكري والعلمي والتطور التاريخي للمفهوم).

تعريف المؤلف " **الضبط الاجتماعي** : هو عمليات متداخلة لكل من الفرد (الضبط الداخلي) والمجتمع ، تمارسها أجهزة عديدة يستطيع بها المجتمع فرض السيطرة والرقابة على أفراده وتنظيم سلوكهم بالامتثال، أو التقليد: قولا وفعلا؛ من خلال مجموعة من الوسائل المادية والرمزية أو كليهما معا بطريقة تفضي إلى اتساق وتوافق علاقات وسلوكيات أفراده وجماعاته مع توقعات ومثاليات المجتمع التي يتبناها ، بغية المحافظة على استمرارية النسق الاجتماعي وتطوير أداءه بتحقيق أهداف إجرائية علاجية ، ووقائية وإنمائية اعتمادا على مؤسسات بعينها وما تحويه من فرق عمل وفق أيديولوجية المجتمع ونمط حياته الاجتماعية".

٧) وفيما يتعلق بمعنى الضبط من وجهة نظر العلماء ففقد تعددت الآراء بين فرق أربع (١٥):

- الفريق الأول : العلماء **الأوروبيون** حيث نشأ هذا المفهوم في الدول الأوروبية ، وهم يرونه "كل ما يدل على الإشراف ، والمراقبة ، والإرشاد .
- أما الفريق الثاني فهم العلماء الإنجليز حيث يرون الضبط الاجتماعي معبرا عن السيطرة والرئاسة لكون الإنجليز مشبعون بروح الحرية في المبادئ والآراء فهم يكرهون تدخل الحكومة لذلك يحمل الضبط عندهم معنى الهيمنة ، والسبب في ذلك يعزى إلى تباين الأفكار السياسية التي سادت انجلترا منذ منتصف القرن الثامن عشر وبين تلك الأفكار السياسية التي انتشرت في الممالك والإمبراطوريات الأوروبية فقد اعتادوا تدخل الحكومة في شئون المجتمع لدرجة تركيز السلطة في يدها .
- الفريق الثالث: بعض العلماء الأمريكيين ممن تبنوا وجهة نظر الأوروبيين ومن زعمائه: إدوارد روس، وتشارلز كولي.
- أما الفريق الرابع فهم مجموعة من العلماء الأمريكيين الذين نحوا منحى العلماء الإنجليز، مثل " جيد نجز، وكامبل ينج .

---

١٥) محمد عبد المعبود مرسي : مرجع سبق ذكره ، ص ص : ٦-٨

وعموما فإن أية تفسيرات بشأن طبيعة الضبط الاجتماعي ق تتباين بتباين الرؤى الفكرية السوسيولوجية والسوسيو قانونية من ناحية كما تتباين من حيث طبيعة وخصائص المرحلة التاريخية التي تعتري مجتمع ما في علاقته بالتنظيم الاجتماعي قوة أو وهناً ، ومن ثم تظهر مشكلات اجتماعية مصدرها اختلال منظومة الضبط الاجتماعي أو اختلال التنظيم الاجتماعي للمجتمع بحيث يؤثر على عملية الضبط الاجتماعي .، والشكل التالي يوضح موقع الضبط الاجتماعي من منظومة الحياة الاجتماعية .

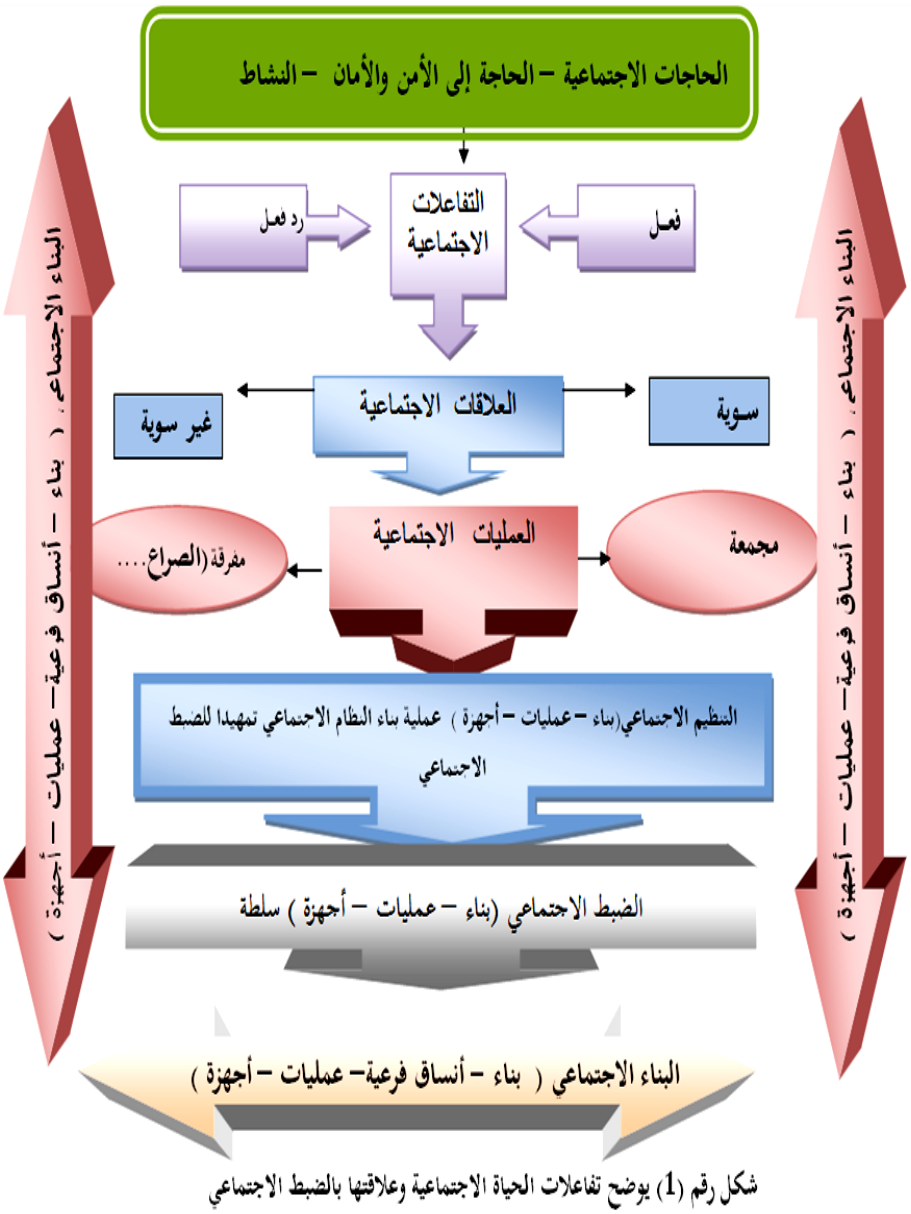

شكل رقم (1) يوضح تفاعلات الحياة الاجتماعية وعلاقتها بالضبط الاجتماعي

هذا الكتاب منشور في